

غرام الشعراء

اقصصة فرنسية

تصبت الشاعرة محاسن الأميرة فأحبها
روح شاعريته القدسية ؛ ورأت الأميرة فيه
ما بهر غرورها فاستسلمت لفرامه ، وتراجع
سائر العشاق بذلة الانكسار أمام الشاعر الترى
الجميل ، وكان اسمه سعيداً^(١) وله صديق اسمه
جميل فكاتب سعيد إلى جميل يقول :

« لقد رضيت بى زوجاً ، فما أسعدنى بهواها !
وإننى لأشك أحياناً فى سمادى فأحببى وأهمل .
وهل لمثل هذه الآلهة أن تحب رجلاً يموت ؟
ولكننى أعود إلى رشدى فأسال نفسى عما دفعها
إلى النسائم بقبولى زوجها لها إذا كانت لا تحببى
لا أراى مضطراً إلى أن أقول لك ، وأنت الصديق
الوفى العارف بما فى سريرتى ، إنه لا مطمع لى فى
الحياة الا امتلاك قلب امرأة بكل ما فى كفة الامتلاك
من معنى السيادة المطلقة ، تبرع فى قلب لا وهن فيه
ولا شرك ولا ضلال . أريد روحاً أبداها روحى
وحياة واحدة فى جسدين . ذلك حلم الخلود أطمح
إلى تحقيقه على هذه الأرض الغائبة . إن الله لم
يخلق الجمال عبثاً ، فانه وضع فى إهاب الأميرة المنير
للنيران قلباً يحترق هو نفسه بها . إننى أشكر الله
لأنه أنالنى ما اشتهيت »

وورد الجواب بهذه السكامة :

« احذر ، فانك شاعر »

وكانت حفلة زفاف جلالتها روعة الجمال ولدت
فيها بروق المال
اهتزت المدينة لهتاف الفرح ، وسار العروسان
تحف بهما الأبحاد وبوا كهما المر على طريق
السعادة والهناء

كانت فتاة أسمدها الحظ وأسمدها الجمال ،
ولدت من أبوين أحدهما الثروة وتانىها الجمال ،
فكان الله أوجددها فتنة للعالمين ، تلمب بألباب
الشمرء تارة ، وتارة تلمب بقلوب الطامعين
وكان اسمها مشتقاً من مصدر النصر فدعاها
الناس بالأميرة لأنها حكمت بإسهمين إله الجمال
وإله المال

انتصبت للناس صنما يعبد الماقل والجاهل ،
رجل العواطف ورجل الأطماع ، فترنحت أعطافها
من سكرة الدلال ، وأصبحت تطالع المأمن على
فستصغر كل الماشقين

إن رجلاً يسعدده الحظ بامتلاك قلب الأميرة
ليتسنى فيه عرشين ويمتلك به سعادتين

مرت السنون والأميرة تحسب الدمع خلقة
فى مآ فى الناظرين إليها ؛ ولولا قوة فى السكون
تسخر المال والجمال لكان قد قضى على الأميرة أن
تفادر الدنيا بوحداية جمالها لا تشرك به أحداً من
الناس ، وما تلك القوة إلا الحافز الطبيعى لا يتمرد
عليه إلا المتظاهرون بتذليله وهم فى ادعائهم كاذبون
وكان فى المدينة شاب ولد كما ولدت الأميرة
من مصدرى المال والجمال ، غير أن إلهه الشمر
كان قد نفخ فى روح الجنين خلسة فجاء الطفل
يحمل إلى الدنيا جذوة الالهام

(١) ترجمت الأسماء بما يقابلها فى العربية

خلدى ، وعرفت ما أحب وما أكره ، فأمرنى
مثال أحلى

ما أنسى قلب الشاعر : بل ما أبعد هيام
الشعراء عن أهواء الناس : إن في بعض النفوس
المشتتة يلعب الأبد غراماً يستنزل العاطفة من عالم
التجرد ، وما وجدت هذه النفوس في الأرض
إلا لتشق ، لأنها تطلب كوتر السماء من كؤوس
التراب : تريد حياة من الموت ، وتجرداً من المركب
المنحدر .

وكان الشاعر يجثو أمام أميرة مداعباً أوتار
قيثاره فيستنطقها أجل الأنعام ، ولكن الأميرة
كانت ترفع يدها إلى جبينها وتشكو الصداغ ؛
كان يأخذ الشاعر أروع القصائد ويتلوها على
مسمع أميرة فلا تلبث أن تحول الحديث إلى بحث
أنواع الطعام وما يصعب هضمه منها

كان يبدأ حديثه معها قائلاً : أفلا ترين
يا حياة الفؤاد أن ... فتقاطعه شاكية حرارة الجو
وطفق اليأس راود تجلد الشاعر

وتقدمت الأميرة يوماً إلى عابدها قائلة : يا سيدي
العزير

فانتفض الشاعر وقال في نفسه : لقد جاءت
تبادلني حياً بحب ، وقلبا بقباب

فقال : ليس جمال الحياة في ...
فتقاطعه وقالت : في الأعياد والراقص واستقبل

الأصدقاء . أما حان الزمن للقيام بما يوجب مقامنا
الاجتماعي ؟ إنك ستدعو قريباً أهل المدينة لوليمة
كبرى يقيمها الرقص إلى الصباح ، أليس هذا
ما تريد يا سيدي ؟

نحت أعصان الربيع أمام الطبيعة الموشاة بجلالها
السندسية كان سميد يناجي عروسه بروح شاعر ،
وإذا قال لها : ألا تسمعين حفيف أجنحة السمادة
حوالنا ، تهتت فهذا عميقاً حسب الشاعر صدى
لغبرات إلهامه

وقضى العروسان شهر المسلى في قصر من
قصور الريف ؛ وما سرت أيام بملءه حتى أخذت
الأميرة تشعر بالضجر في هذه الحياة الهادئة .
فأصبحت تنمب من السير في ظلال الأشجار ،
وتحاذر الجلوس على المروج الزهرة خشية أن تنالها
رطوبة من الأرض أو افحة من الهواء

وكان أمير الشعر يدعو أميرة الجمال لترافقه إلى
ممشى القصر القديم حيث يعرض جمالها الرائع على
البدر المتطلع من بين الأزاهر الراقصة على أغصانها ،
ولكن الأميرة كانت تعلم أنها تخاف افئات البدر
وهو الماشق الأبدى يافح الجياه بنظراته فيورثها
الصداغ

وعجزت حيلة سميد عن إبداع ما يعيد الابتسام
للجمال العابس ، فقرر العودة إلى المدينة

وقال الشاعر في نفسه : لقد يكون قصر الريف
قد أثر رياشه البسيط على روح لآهتي فلأفودنها
إلى قصر أجدادي حيث الزخارف الرائعة والرياش
الفخم ، ولا فرق إذا سكن ملاك الجمال كوخاً في
الحقول أو قصرآ في المدينة ؛ وإن يتمكن صخب
المجتمع من إفلاق راحتنا وهي تجد في الدنيا ، وأنا
أجد فيها الحياة

وتفقدت الأميرة غرف القصر وقاعاته وعلى
شفقتها ابتسامة الرضى ، فهتف الشاعر لها وناجى
آلهة إلهامه قائلاً : لقد فهمت أميرتى ما يدور في

وكانت الشمس تودع الأرض وقد شجب وجهها
المحترق . خرج الخدم وتقدموا إلى العربية فوجدوا
فيها مولاهم مضرجاً بدمه ، وفي صدره خنجر وبين
أصابعه ورقة خط عليها : « ايرحني الله ، فإسألي
الجانية على »

وانظروا حث الأميرة على جثة زوجها وقد ربيت
لهذا الشهيد الهائل ؛ وعند ما ألصقت شفرتها بجبينه
البارد كانت تنأجى نفسها قائلة :

للزهرة أن تنور في الروض مكتومة الأريج ،
فإنها إن لم تحي الصدور لا توقف نبضان القلوب ؛
أما المرأة الجامدة الغرورة التي حرمت نفحة الحب
فهي بليّة على نفسها وخطر على الناس . أمن الله
يوماً جئت فيه الحياة بما لا يجدي ، وأنا محرومة
من روح الحياة . إذا ما تلاتني الحب في قلب المرأة
فإنه ليستحيل إلى "سم" زعاف يسرى في عروق كل
من يمد لها يداً . وبل لعاشق الزهرة البشرية التي
لا عطر فيها

ومر جميل على قبر سعيد ليملكه قرأى قرب
اللحد زهرة نبقت بين حجرتين حمراء ناضرة تمايل
مع النسيم . جثا الصديق الوفي وصلى فارتفع عبير
الاخلاص من روحه ، وبقيت الزهرة كأنمة أريجها
وهي شاحبة برأسها تباهى بجملها

وجأت بين أحفان الصديق الوفي دمة محرقة
فقال :

اعمل المرأة التي لا تحب قد استجالت إلى زهرة
لا تجود بالمعير على قبر الشاعر ، ليكون هذا القبر
كمن نوى فيه مكلاً بحب الجلال محروماً من
جمال الحب

وسقطت صاعقة السادة على رأس ابن الشعر
فأنحني منكسراً وفي عينيه دموع وفي قلبه نار
وكتب سعيد إلى جميل يقول :

« ليس بين الناس من يفوق شقاؤه شقائي ،
إن أميرتي لا تفهمني

أقصد لاحت على وجهها ليلة المرقص بوادر
الانسياط وسادة ما رأيت عليه مثلاً ليلة زفافنا .
عرفت طبيمة هذه الأميرة ، فهي عاشقة صاف
وغرور ، فيها كبرياء وليس فيها عظمة ، في صدرها
أطماع وليس فيه قلب

تقدمت إليها وهي سكري بانتصار جمالها فقات
لها همساً : أنت ياسيدي زهرة بلا عطر . أنت
امرأة بلا قلب ، وقلب بلا غرام

فلم تفارق الانسامة شفيتها ، فكانتني لم أقل
لها ما قلت . ثم تنازات وحدثت فيّ قائلة : صدقت ،
أيها السيد ، أنا الزهرة التي تسلب الطبيعة روعة
جمالها ، وتنشق من الفشر أريجها دون أن تجود
بمطارها على أحد ...

ومرت أمابى ورأسها بشمع كبرياء وتوارت
بين الراقصين كأنها القمر الضاحك بين النجوم ،
ولكنني أذكر أنها زودتني بنظرة حسيرة لم أتمكن
من إدراك مغزاها

اذرف ممي دمة على نفسي ، فأنا أتمس الناس
وورد جواب الصديق هكذا :

« تذكر ما قلت لك ، فقد تأيد حكمتي »

ووقفت أمام قصر الشاعر عربية تجللها رهبة
الموت

نزل السائق عن مقعده وضرب باب القصر ،